
مغامرات عجيبة جدا
جوهرة
56
العاصفة الحلزونية
دار الدعوة



جـوهرة
العاصفة الحلزونية

العواصف العاتية عندما تهب على البحار والمحيطات فإنها تعرض السفن والبوارج لخطر الغرق الذى لا يبقى ولا يذر.

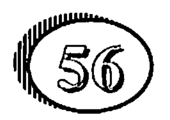
ولكن إذا هبت العواصف على اليابسة فيمكن للإنسان أن يتحصن منها داخل البيوت ويقى نفسه شرها.. أما إذا لم تكن البيوت كافية ولا القلاع ولا الجبال فهى إذن الأعاصير الحلزوني....!

❖ سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق .
❖ أغرب الرحلات والمفارقات .
❖ تجمع بين المتعة والمعرفة .
❖ لا غنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية
تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ (٠٣)

سلسلة

مغامرات مؤمن

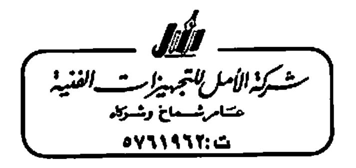


جوهرة

العاصفة الحلزونية

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م

رقم الإيداع ٣٨١٦ / ٢٠٠٢



دار الدعوة

للطبع والنشر والتوزيع ٢ ش منشا - محرم بك ت: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

جوهرة

العاصفة الحلزونية

علاء الدين طعيمة

الإشراف العام: أحمد خالد شكري
رسوم: عبد الرحمن بكر


بسم الله الرحمن الرحيم

□ من الظواهر الطبيعية التى تحدث فوق الكرة الأرضية وفى مواضع شتى منها ما يسمى بالعواصف والأعاصير التى ما أن تدب فى بقعة منها حتى تحيل الأمور إلى ما لا يسر.. فالعواصف العاتية عندما تهب على البحار والمحيطات فإنها تعرض السفن والبوارج لخطر الغرق الذى لا يبقى ولا يذر.

ولكن إذا هبت العواصف على اليابسة فيمكن للإنسان أن يتحصن منها داخل البيوت ويقى نفسه شرها.. أما إذا لم تكن البيوت كافية ولا القلاع ولا الجبال فهى إذن **الأعاصير الحلزونية**.. التى تجوب أماكن معينة على سطح الأرض، تدور فى شكل القرطاس أو القمع.. قاعدتها فى السماء ومركزها المتحرك فى

الأرض أيا كان مداه واتساعه.. فهــو عبارة عن عاصفة من الرياح تدور حول نفسها فى شكل حلزونى، بسرعة رهيبة، منشــئة أسفلها مفــرمة أو مطحنة تدمر أى شىء تحتــها ثم تلقين بعيــدًا أو تحمله فى دورانهــا السريع إلى حيث لا يعلم مكانه بعد ذلك إلا الله.

الإعصار هو وحش.. دوامة هوائية كــالمارد الجبار.. وفى مغامرتنا تلك سيكون لبطلنا مؤمن بإذن الله حكاية غريبة ومثيرة مع هذه الــظواهر وغيرها.. فقد كان ذات يوم يستعد لتخزين الطعام والمؤن اللازمة بالبيت لمواجهة فصل الشتاء القادم حيث يتوقع دائمًا أن يترك أمه مسافرًا فى مغامراته.

وكما توقع.. فقد قــام بعد ليلة واحدة، بمغامرة فى جنوب مصــر عند حافة البــحر الأحمر.. وعندمــا أنجز



مهمته ومغامرته بسرعة قرر أن يعود مسرعًا إلى القاهرة، لولا أن سفينة كانت راسية على مكان ليس بالميناء، جذبت اهتمامه.. فلم يسمع بها أصوات بحارة كالعادة ولم ير حتى من يتحرك فوقها.

وبشعور المغامرة الذى ينضح به دمه.. يمم شطر السفينة - حذرًا - خاصة أن السماء فى ذلك الوقت لم تكن صافية.. بل ملبدة، وإلى المكان ريح الشتاء الشديدة تهب وهى تزمجر، ولما وصل إلى حيث ترسى السفينة الكبيرة وقف ينظر لها وبينه وبينها مسافة فى البحر.. فأخذ يقول لنفسه:

- «يا إلهى.. الجو لا يبشر بالهدوء.. وهذه السفينة تراودنى بهدوئها العجيب.. ترى هل احتمى أهلها بداخلها خشية الرياح والعواصف؟.. لكن على

الأقل لابد من وجود حراس أو أحد يذهب أو يعمل أى شيء.. إنها صامتة تمامًا.. سأصيح عسى أن يسمعنى أحد.. هيه.. يا أهل السفينة.. هيه، هل من أحدٍ هناك؟».

لم يجب أحد.. وارتد إليه صراخه فاشلاً.. وباء بحيرة ويأس.. اقترب من الماء ولمسه بأنامله فاقشعر بدنه من شدة برودته فقال فى نفسه:

- «الماء شديد البرودة.. لا يعقل أن أسبح فيه.. وماذا لو كانت سفينة قراصنة؟.. كيف أرحل من هنا دون أن أعرف سر هذه السفينة الصامتة؟».

ووقف حائرًا لا يدرى ماذا يفعل.. لكن لا مناص من السباحة.. تردد ثم حزم أمره وخلع ملابسه ليسبح.. ثم سار بقدميه فى الماء، فلسعته البرودة

الشديدة فتراجع ينظر خلفه، فلما طاف ببصره فى المكان لمح لوحًا خشبيًا قذفته الأمواج من قبل وانغرس كله فى الرمل ماعدا طرفه.. ففرح وعاد يرتدى ملابسه ثم هرع نحوه وأخذ يحرره من مكمنه حتى جذبه بشدة فخلعه ووقع به أرضًا ثم حمله بسرعة إلى الماء وجلس فوقه وأخذ يجدف بيديه فى اتجاه السفينة.. وفرح إذ أنه أصبح يتقدم من هدفه.. وبعد قليل كان يدور بلوحه الخفيف حول السفينة ليصل إلى خُطافها المتدلى فى الماء بحبل غليظ، فلما أمسك بالحبل جذبه إليه بشدة ثم شرع يتسلقه بخفة حتى اعتلى سطح السفينة، فرأى بحارتها ملقين على متنها بلا حراك.. فهرع نحوهم وأخذ واحدًا منهم يحاول أن يكتشف حالته.. أهو ميت أم أنه مغشى عليه؟

أخذ وهـو واضع أذنه على صدره يسـتمع لقلبـه. . وفوجئ بأنه يدق دقًا واهـنًا متباعد التـرددات. . فجرى وعاد ببـعض الماء ونثره على وجهه فلم يفُق. . فـجرى بين الجثث ودخل جوف السفينة يبحث عن حجرة طبيب السفـينة فوجـده هو الآخر مـغشى عليـه، فقام بـفتح دولاب الأدوية وعثر فيه على زجـاجة محلول النوشادر فقام بملء قطنة كبيرة منـه، وكلما مر على أحد البحارة وضع القطنة فى أنفه ليـفيق ثم يتركه ويجـرى لغيره. . حـتى أخذ يلهث وهو يبـحث فى أرجـاء السفـينة عن واحد لم يشمله بتلك الرعاية.

وبعـد مرور سـاعـة كان يجـلس بينهم وهـم يرددون عبارات الشكر والعرفان لله ثم لمؤمن له، ودعاه القبطان إلى وليمة لذيذة فى قمرته الخاصة:

- هذا فضل كبير منك سيدى القبطان.

- تناول طعامك دون شكر.. فأنت الأولى بالشكر يا مؤمن.. فلولاك لمات كل من بالسفينة.

- لقد أرسلنى الله إليكم سيدى القبطان.. وهو الأولى بالحمد والشكر.

- الحمد لله.. الحمد لله

أخذ مؤمن يلوك الطعام برهة ثم توقف وقال:

- سيدى.. لم أعرف حتى الآن سبب ما جرى لكم جميعًا.. كيف يغشى على كل البحارة بما فيهم أنت؟ إنه شىء محير.

تنهد القبطان ثم أخذ يتحسس رأسه ثم قال:


العاصفة الحلزونية

- لقد سقطت على مؤخرة رأسى يا مؤمن.. لقد مررنا بعاصفة عاتية.

- لكن سيدى.. ألم يقدر ولو واحد فيكم أن يبقى على وعيه، هل كان ذلك من شدة الإعياء بسبب الجهد المبذول فى مقاومة العاصفة.

- لا يا مؤمن.. لا تتعجل.. لم يكن البحر الأحمر طريقنا.. إنما دخلناه لنحتمى من عاصفة شديدة فى المحيط.. ورسينا هنا.. لكن مر بنا هنا ما يشبه توابع العاصفة.. زوابع شديدة.. تمالكنا ولم نخش شيئًا، خاصة وأننا على مقربة من البر.. لكن بعد مرور الوقت هدأت العواصف ونام البحر وابتهجنا وعدنا نستعد للإبحار، فهبت ريح شديدة لم أر مثلها

من قبل.. كانت شديدة فى رائحـتها وليس فى قوة دفعـها.. ملأت أنوفنا جـميعًا بهواء نفـاذ الرائحة فرحنا نتخبط ونقاوم الإغماء.. لكن لم يشعر أحدنا بالآخـر إلا عندمـا رأيـناك تقـوم عـلينا بالرعـاية والنجدة.

ترك مؤمن الطعام وتعـجب من هذا الحديث لولا أنه تذكـر ذات يوم صيـادا عجوزًا بأحـد الموانى أخـبره أن البرق الذى يضـرب الأرض قد يحـول الهواء إلى شىء آخر يضر بالبشر، وأن نسبة كبيرة منه يمكن أن تؤدى إلى الموت.. فسأل القبطان بسرعة:

- سيدى.. هل كان هناك برق فى السماء؟

أشار القبطان بيده ناحية النافذة وهو يقول:

- كانت ألسنة البرق تضرب بعشوائية.. حتى أنها أحرقت سقف حجرتي تلك وأسرعنا بإطفائها والحمد لله.

ابتسم مؤمن وقال:

- نعم الحمد لله.. الحمد لله كثيرًا سيدى.. لقد منحكم الله الحياة.. وسأل القبطان عن تفسير ذلك فأخبره مؤمن بالحقيقة وتذكرا سويًا أن الأمم السابقة كانت إذا تمادت فى العصيان والفجور فإن الله كان يرسل إليهم الريح فيها العذاب أو الدمار. وقال مؤمن:

- حقًا سيدى.. حقًا.. من قبلُ كان الناس يطمئنون لحياتهم الدنيا وتظن الأمم أن لا شىء يقدر عليها فيرسل الله عليهم العذاب بما عصوا وكانوا يعتدون فيقول تعالى:



﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر: ١٩].

﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ⑥ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ⑦ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٦-٨].

- نعم.. ونعم بالله يا ولدى.. نستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ونتوب إليه.. إن هذه الأمور يا مؤمن يا ولدى تذكرنى بذنوبى.. فكم يغفل الإنسان وتأخذه الحياة الدنيا وينسى أن الملائكة تعد عليه

أعمـاله وتكتب كل صغـيرة وكبـيرة . . فـإذا زاد الثقل ودنت المصـائب . . فمـا هى بمصـائب فى الحقـيقـة يا مؤمن . . بل هى رحـمات تصيب العبد المـؤمن، خصه الله بهـا لتكفر عنه آثامـه وتمحـو ذنوبه وتذكره، حـتى يرجع إلى صوابه ويعـيد التفكر فى أيامه فـيرجع وينظم حياتـه مرة أخرى ثم يطمئن ويهـدأ باله وهو فى حظيرة الله تبارك وتعالى .

- بارك الله فى كـلامك وفى خـصـالك سـيـدى القـبطان . . والله إننى كـنت فى حـاجـة لهـذا الدرس المفيـد . . لكن دعنى أسألـك إلى أين ستكون وجـهتك بعد ذلك؟

- نحن فى طريقنا يا مـؤمن . . سنمضى فى سـفرنا الذى كنا فـيه مادامت الأمـور قد هدأت وتحـسن الحال

والحمد لله.. إن السفينة ستقطع رحلة إلى سريلانكا، ومن هناك سنأخذ شحنة من أوراق الشاى ونرجع بها إلى الشام.. هل تود أن تأتى معنا؟

ابتسم مؤمن وقال:

- كنت أتمنى لو كان الأمر فى حاجة لى.. أما وأن الأمور بحمد الله قد استقرت فيجب علىّ العودة إلى أمى.. ففصل الشتاء فى أوجه و..

وقبل أن يتم كلامه إذ بأحد البحارة يدق الباب فأذن له القبطان ليدخل:

- معذرة سيدى القبطان.. هناك رجل يلوح لنا على الشاطئ.. ماذا تأمرنا حياله؟

- رجل.. أى رجل؟

وخرج القبطان ومؤمن وراءه ووسط البحارة وقفوا ينظرون لرجل يحمل حقيبة ويحتمى من رزاز المطر الخفيف بمظلة يدوية عجيبة، مربعة الشكل، رغم أنه يضع على رأسه قبعة كبيرة ومظهره يدل على الترف وغرابة الأطوار.. وكان يلوح بالحقيبة والمظلة وينادى على البحارة:

- أرجوكم.. أريد أن أستقل السفينة.. أرجوك.. أيها القبطان.

وهنا أمر القبطان أن ينزل أحد البحارة بقارب صغير ويحضره وهو يقول:

- احضروه.. لنعرف ما قصته.. الشىء الغريب أننا نتعرف على أناس فى هذه المكان النائى من العالم.

وأحضـر البحار الضـيف الجديد على وجه السـرعة وصعد إلى السفينة وصافح القبطان بحرارة وأخذ يتكلم بنشاط غريب دون أن يسمح للقبطان أن يقاطعه:

- اسـمع أيهـا القـبطان.. ما رأيـك أن تنقلنى إلى المكان الذى أريد الوصـول إليه وسأعطيك أى مـبلغ من المال تريده؟.. أنا غنى.. غنى جداً.. بل ثرى.. ثرى جدًا.. نعم.. لاحظت أيضًا أنك لا تحمل شحنة على السـفـينة.. وهذا شىء طيب فـلا حـاجـة لك إذن أن ترفض عرضى عـليك.. ماذا قلت؟ هه؟ على العـموم سيسيل لعابك.. انظر هذه الحـقيبة.. إنها تعج بالمال، هه.. لم ترد علىّ.. قل لى.. هل وافقت.. انتظر.. أنا لست مهربًا ولا.. لست أيضًا مجنونًا.. أنا عالم.. مفكر.. صاحب كتب وتجارب لا نهاية لها.. أنا

وهنا صرخ فيه القبطان وأخذ مؤمن يضحك:

- هيه.. هيــه يا أخى.. كفى.. كـفى بالله عليك.. دعنى أفسر كلامك.. دعنى أرد عليك إذا أردت.

- يبدو أنك غاضب جدًا.. لماذا إذن أنت هنا بسفينتك؟ لابد أن الإعصار قد أجبرك على ذلك.. هه.. هل تحتاج إلى مال أكثر مما ينبغى؟ هل..

وعاد القبطان يصرخ فيه:

- أرجــوك يا أخى.. أرجــوك.. بالله عليك.. دعنى أكمل كلامى.

وظهر الحرج على وجه الرجل ثم أطرق خجلاً وقال بهدوء:

- معذرة سيدى القبطان.. معذرة.. فأنا فى عجالة من أمرى والأمر الذى أنا أتعجله هو الذى يدفعنى للعجلة فى كلامى معك.. لكن أرجوك أن توافق.. ماذا قلت؟

- أوافق على أى شيء سيدى.. أليس عليك أن تخبرنى بكل شيء بهدوء.. ونتحاور بشكل منطقى وعاقل.. أولاً أنا فى طريقى إلى سريلانكا.. إذا أردت أن تأتى معى على هذا الخط فأهلا بك من دون أجرة.. أما إذا أردت أن تذهب إلى اتجاه آخر فمعذرة لا أستطيع.

- يا إلهى.. يا إلهى.. أنا لا اتوقع منك ذلك.. سيدى أنا فى مهمة علمية ستفيد الدنيا بأسرها.

ولما سمع مؤمن هذه العبارة من الرجل تدخل برفق في المناقشة قائلاً:

- معذرة سيدى القبطان.. يبدو أن الأمر مهم.. هل تسمح لنا بالجلوس فى قمرتك الخاصة ومناقشة الأمر بهدوء.

- إذن تفضلا.

ودخلوا عند القبطان وأحضر البحار أكواب الشاى وقال مؤمن:

- يا أخى.. هلا تفضلت وعرفتنا باسمك وشرحت لنا مسألة المهمة العلمية

- أنا أمجد.. نعم.. أمجد عبدالباقى.. عالم فى الظواهر الجوية.. مهمتى تتبعها ورصدها ومعرفة أسبابها.. لقد درست بالفعل العديد من تلك

الظواهر، لكن أنا فى حاجة إلى دراسة الأعاصير.. ألا تعتقد يا مؤمن وألا ترى سيدى القبطان أننا لا نعرف أى شىء عن كنه تلك الظاهرة العجيبة والمخيفة فى ذات الوقت؟

وهنا تدخل القبطان قائلاً:

- شىء عجيب.. وما دخلى أنا بهذه المسألة؟

فقاطعه مؤمن بأدب قائلاً:

- سيدى.. معذرة.. أعتقد أن البحارة والسفن والملاحين هم أكثر من يتأثر بالعواصف والأعاصير.. وأن مساهمتك فى هذه الدراسة ستعود بالفائدة ليس عليك وحدك بل على الأجيال التى ستأتى من بعدنا.

واستغل أمجد الفرصة وقال:

- ليس ذلك فحسب.. بل أعدك أن أسجل اسمك واسم سفينتك فى نتائج الأبحاث.. ليحتفظ بها التاريخ ويذكرون اسمك عند كل درس يعطى لأهل العلم على مدار الزمان.

ساد الصمت للحظات والقبطان يفرك لحيته بأصابعه ويفكر حتى قطع مؤمن التفكير عليه وقال:

- سيدى.. تذكر أنك كنت فى عداد الموتى وبحارتك أيضًا، ولو كنت مكانك لزكيت عن نجاتى ولم أحصل من هذا الرجل على أجر ثم ذهبت إلى طريقى وأنا أحمد الله.

كانت كلمات مؤمن الأخيرة كافية لجعل القبطان يعلن موافقته، فقد قام من مجلسه ونادى على البحارة من نافذته:

- أيها الرجال.. ارفعوا المرساة.. أفردوا الشراع.. واستعدوا للرحيل.. فأمامنا رحلة إلى جنوب أفريقيا.

طار أمجد فرحًا وأخذ يعانق مؤمن، ولما خرج القبطان ليباشر طقوس الإقلاع جلس إليه وقال له:

- مؤمن.. لماذا لم ترحل؟.. نحن على وشك الإقلاع.. لقد عرفت أنك سترجع إلى القاهرة.

ابتسم مؤمن وقال:

- لا أستطيع مقاومة سحر مهمتك هذه يا صديقى.. وأعتقد أنك فى حاجة لمن يرافقك.

- معقول؟.. شىء رائع.. أنت أول إنسان مجنون أقابله فى حياتى العملية.

- ماذا؟

- معذرة.. هاهاها.. أنا أمزح.. فى الحقيقة ما من أحد طلبت منه أن يرافقنى إلا اتهمنى بالخبل وقال لى: إن من يوافقنى لابد أنه مجنون مثلى.. فمرحبا بك.

ضحك مؤمن وقال:

- فلتكن مغامرة جديدة وعجيبة

- مغامرة؟!.. هاهاها.. لا.. بل يبدو أنك تهوى المغامرات.. هيا نقطع مشوارنا فى التعرف على بعضنا البعض.

وعاد القبطان والسفينة قد بدأت تتهادى وجلس وأمجد يستمع لمؤمن فكانا يتابعان باندهاش حكاياته ومغامراته:

- يا إلهى.. أنا محظوظ فعلاً بأنك سترافقنى.. لا أكذبك القول يا مؤمن.. مهمتنا شديدة الخطورة.

وهكذا مضت الليلة الأولى تتبعها الثانية والسفينة تمخر عباب المحيط.. كانت العواصف تترى عليهم وكانوا يعملون لها حسابًا كالعادة.. وفى إحدى الأمسيات الهادئة خرج أمجد ومؤمن إلى السطح وجلسا فى ضوء القمر وكان لدى مؤمن استفسار:

- قل لى يا أمجد.. ما الذى تريد دراسته بالدقة والتحديد فى هذه المهمة؟

- قلت لك يا مؤمن من قبل.. الأعاصير.

- أعرف.. لكن ماذا تريده من الأعاصير؟

- آه.. نعم نعم.. لقد فهمت.. فى الحقيقة يا مؤمن المسألة قد تكون محبطة بالنسبة لك.. لذلك لم أشأ



أن أوضح الأمور أكثر من ذلك.

- كيف ذلك؟

- مؤمن.. ستغضب منى كثيراً إذا اعترفت لك أننى فقط أجرى وراء الأعاصير حتى أتفرج عليها.

- ماذا.. تتفرج عليها؟.. هل تمزح؟

- ألم أقل لك أنك ستغضب؟

- يا إلهى.. أهذه هى الدراسة التى جندتنا كلنا فيها هل كنت تخدعنا يا أمجد؟

- لا.. لا.. صدقنى.. مؤمن.. أنا أعتقد فيك نبوغ العقل ورجاحة الفكر وسلامة البصيرة.. اسمع سأشرح لك الموضوع بشكل أفضل.. لكن عدنى بأن توقع الأمور فى موقعها السليم.. ولا يأخذك

الغضب حتى تعدم فكرتـي وتثبط من عزيمتى وعزيمة القبطان.

- أعدك يا سيدى.. تفضل.

- جميل.. يجب أن تؤمن بأن أولى درجات أى دراسة وأى تحليل تقوم أولاً على المـلاحظة.. أليس كذلك يا مؤمن؟

- أفهمك يا سيدى.. أكمل.

- هذا طيب.. عندما أراد شخص أن يدرس نمو النبات ليشرح لنا فيما بعـد أن النبات عبارة عن ساق وجذر وأوراق وفـروع وبراعم إبطية وبراعم طرفـية وكـيف يتكاثر وينمو وكيف يمرض ويصح، فقد استلزم ذلك منه أن يجلس لساعات طويلة أمام أنواع لا حصر لها

من النباتات.. وعمله هو (التفرج والملاحظة).. أو المشـاهدة والتدقـيق.. إذن هل فى هذا الكلام خطأ ما؟

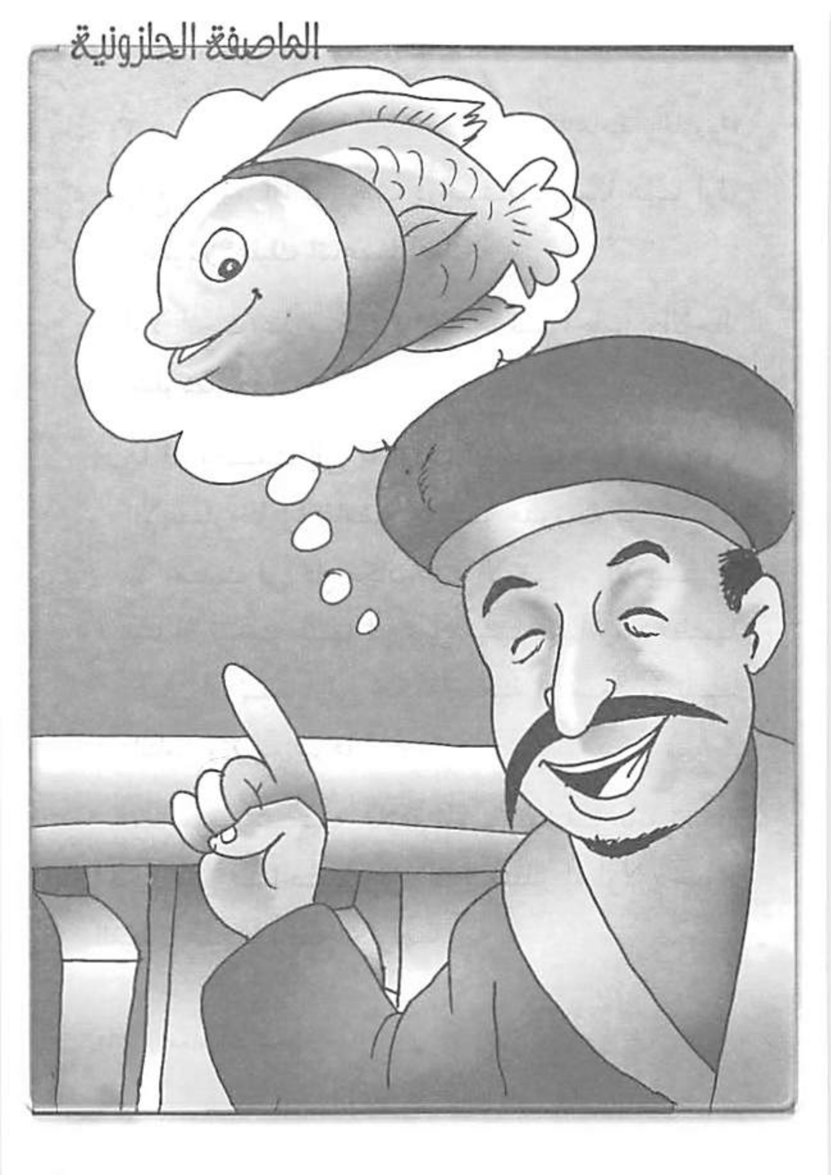
- لا.. حتى الآن لا يوجد ما يغضب.

- جمـيل.. وهذا المثـال ينطبق على الكثيـر من العلوم حـتى دراسـة الأسمـاك تحـتـاج إلى نفس الخطوات الأوليـة.. لكن مـا بالنـا إذا أردنا أن ندرس سلوك سمكة القرش مثلاً أو سمكة البراكودا

- البراكودا؟!

- نعم.. إنها أسماك صغيرة ولكنها فى منتهى الشراسة هل سمعت عنها.

- لا..



- رائع.. وماذا لو أردت دراستها.. ما هما أول خطوتين عليك اتباعهما لذلك.

- أولاً أبحث عن مكان تواجدها ثم أجلس وألاحظ سلوكها.

- ها قد وصلت إلى ما أردت أن تفهمه يا مؤمن.. الإعصار ظاهرة غامضة.. غير مدروسة من قبل.. لا تحدث فى كل مكان على الأرض.. ألا يستلزم منا أن نبحث عنها ثم نمعن مشاهدتها وملاحظتها عسى أن نصل إلى حكمة معينة أو معلومة تفيد الناس وتقيهم شرها.

مط مؤمن شفتيه علامة تأسفه وشعر بأنه تعجل الحكم على صاحبه وقرر أن يعتذر له لولا دخول القبطان عليهما وقطع خلوتهما:

- ها.. كيف حالكما.. الأمور تسير على ما يرام.. لقد اقتربنا من نهاية الرحلة.. هناك ميناء يقترب سندخله لالتماس بعض المؤن والتزود بالماء.

دخلت السفينة الميناء الذى كان يعج بالسفن والقوارب وكان الوقت ليلاً والمساء ملبدة بغيوم داكنة وقال مؤمن للقبطان:

- خيرًا فعلت سيدى القبطان.. فالجو لا يبشر بخير.

- ماذا تقول؟.. يا إلهى.. حقًا.. كنت سأعطى تسريحًا للبحارة كى يتجولوا بالمدينة.. إذن فليبق كلٌ فى مكانه.

زمجر البحارة لكن تذمرهم لم يطل عندما أرعدت السماء رعدًا مخيفًا وبدأ البرق يضرب فى الأفق كالشريان يلمع بالدمع الحار المتوهج، ثم هطل المطر

الشديد فأخذوا يلقون بالمزيد من المراسى فى الماء كيلا تنسحب السفينة إلى المحيط مرة أخرى.

أما وقد فرغوا من عملهم فقد هرعوا يحتمون من المطر فى جوف السفينة وتحت السواتر، إلا أمجد فقد حمل مظلته الغريبة وتقدم يقف عند المقدمة ليراقب الظواهر الجوية الرهيبة.. فهرع إليه مؤمن وحاول أن يثنيه:

- سيدى أمجد.. أرجوك.. الوقت ليس مناسبًا.. البرق لا يفرق بين الأشياء وسفينتنا من الخشب.

قال أمجد محاولاً أن يعلو بصوته فوق صخب الموج وتلاطم السفن والقوارب:

- بل هو الوقت المناسب يا صديقى.. دعنى وعد أنت إذا كنت خائفًا.

أحس مؤمن بالحرج أن يتركه وحده وقد خرج فى الأصل لمساعدته فوقف بجانبه يراقب لأول مرة - بإمعان - الصواعق وهى تثير الخوف والفزع وابتلت ملابسه حتى جلده والسفينة تهتز كأنها فارس يعتلى حصانًا بريًا ليروضه.

وفجأة ألقى أمجد المظلة وأخذ يهلل وهو يشير إلى الأفق البعيد ونظر مؤمن فلم ير شيئًا:

- أمجد.. ماذا هناك؟.. أنا لا أرى شيئًا.

- الإعصار يا مؤمن.. الإعصار يجوب المحيط.. لقد رأيته فى وهج البرق.

- يا إلهى.. إعصار..

جرى مؤمن وترك أمجد فى نشوته وذهب للقبطان وحذره:

- الإعصار فى المحيط.. لقد رآه أمجد يا سيدى.

ألقى القبطان كوبًا كان بيده والتقط المنظار المكبر وجرى مع مؤمن إلى حيث كان أمجد يحلق فى الفضاء.. وعندما ضرب البرق كان القبطان يرصد الإعصار بمنظاره ثم أمسك مؤمن من ذراعه وقال:

- إنه حقيقة يا مؤمن.. إنه آت نحونا.

كان أمجد يهلل كالمجنون والقبطان يدور ويلف فوق سطح السفينة تحت المطر لا يدرى ماذا يفعل.. وهنا صاح مؤمن فى أمجد:

- إنه آت نحونا أيها الخبير.. ماذا علينا أن نفعل؟

توقف أمجد عن التهليل وقال:

- لا شىء يا مؤمن.. إنه آت نحونا.. ألا تدرى كم هو مدى حركته، إنه مثل النحلة الدوارة التى يلعب

بها الأطفال بالخيط فى الشارع تدور حول نفسها وتتحرك عشوائيًا فى اتجاه لا يعلمه أحد أو يستطيع أن يتوقعه.. فلنبق مكاننا إذن.. فإما أن يرحمنا الله أو يفرمنا الإعصار.

أحسن مؤمن بالحيرة إزاء هذا الخطر القادم بلا أدنى قدرة على التصرف، كما أحس بمدى ضعف الإنسان عن مواجهة قوى الطبيعة المدمرة.

ورأى الجميع بحارة السفن الأخرى وهم يقفزون إلى الماء ويسبحون إلى البر فصاح أمجد فى القبطان:

- إياك أن تأمر بحارتك أن يحذوا حذو هؤلاء المجانين.. الإعصار أسرع منهم.. ألا تراه بعينيك.. سيحول هذا الماء إلى دوامات حادة تسحب كل ما فيه إلى القاع.

وصرخ القبطان ومؤمن والبحارة عندما اقترب المارد العملاق فجروا إلى جوف السفينة كلهم ويبقى أمجد على السطح معرضًا نفسه للخطر من أجل العلم ومن أجل أن يترك للناس حكمة ومعلومة تفيدهم.

وللمرة الثانية يشعر مؤمن بمسئوليته الصعبة ووبخ نفسه ولامها على تركه لصاحبه، فعاد يجرى ويصعد الدرج لكن السفينة فى لحظة خاطفة تتأرجح كأنها ريشة فى مهب، الريح، ويفقد مؤمن السيطرة على نفسه ويسقط ويتخبط ثم يتماسك ويتشبث بالأشياء ويحاول ويحاول حتى صعد إلى السطح، فرأى أمجد رابطًا نفسه بحبل إلى السارى.. حاول مؤمن أن يتجه إليه فطوحته موجة عاتية فكاد يسقط من فوق السفينة.. ولم ينقذه غير شبكة كانت مفرودة علق بها ثم عاد يزحف

والماء يندفع ويصب عليه من كل مكان، وما كان يستطيع الرؤية.. فكل شيء يحدث كأنه كابوس مزعج لا ملامح له.. ورأى أمجد ينظر خلفه فنظر لنفس الاتجاه.. كان الليل حالكًا.. لكن دوامة هوائية لا يمكن تخيلها تبتعد عن السفينة وهى تفرك تحتها عشرات من القوارب والسفن ثم عبرت الشاطئ نحو اليابسة، وعندما قام على رجليه وقد هدأت حركة البحر بشكل ملحوظ إذ بأمجد يصرخ فيه:

- احترس يا مؤمن .. احترس.

كان مؤمن بخبرته سريع الحركة.. يتميز برد فعل حاد وسريع فبمجرد سماعه للتحذير.. ألقى نفسه أرضًا ولاحظ أن قاربًا كبيرًا يطير فوق رأسه كقذيفة مدفع ثم يصطدم بطرفه فى جدار كابينة القائد ثم

ينحـرف ويسقط فى الماء . . فـحمـد الله على السلامـة وجـرى ناحيـة أمجـد الذى - رغم كل ما جـرى له - مايزال على رعونته وتعجله:

- مؤمن . . لابد أن نغادر السـفينة من فورنا . . أريد أن أطارد هذا الإعصار.

امتثل مؤمن لأمر قائده وشكرا القبطان وأجزل أمجد له الأجر ثم غـادرا إلى اليابسة، وأخذ أمجـد يسأل عن أحدٍ يبـيعهـما جوادين . . ولأنه يمـلك المال الكثير فـقد حصل على طلبـه بسرعة . . وظل هو ومؤمن يركـضان فى البـريـة وسط الأوحـال والغـابات، لكـن لم يعـد للإعصار أى وجود عند الفجر فسقطا من فوق جواديهما إعياءً وذهبا فى سبات عميق فى حضن شجرة عملاقة.

ومشى بعد ذلك وقت قاما فيه يجوبان الأنحاء والمطر

لا يكف.. يبحثان تحت الغمام الأسود الذى حجب كثيرًا من شعاع الشمس عن المارد المدمر. الأفق المفتوح أمامهما يشعرهما بالإخفاق.. وبينما هما كذلك إذ لاحت لمؤمن بلدة من بعيد:

- أمجد.. هناك ما يشبه المدينة.. انظر.. انظر

- أراها يا مؤمن.. وأرى أيضًا أن نلحق بها عسى أن نجد فيها ما يسد رمقنا ويريح بدنينا.

ولما اقتربا من المدينة هالهما المنظر.. إنها مجرد حطام.. أطلال ودمار.. اختلط الحجر بالشجر.. كأن ترسًا عملاقًا مر فوقها فهرسها هرسًا فلم يبق فيها نفسًا يتردد ولا بناءً يتشيد:

- مؤمن.. ما هذا؟

- الأمر ليس فى حاجة إلى تفسير يا صديقى. . إنه الإعصار.

وعلى مضض جمعا من بين الأطلال ما يسد رمقهما وانطلقا بنشاط أكبر وتصميم أشد على متابعة هذا الوحش الفانى:

- ترى أين ذهب يا أمجد؟

- مؤمن. . لا يجب أن تسأل هذا السؤال مرة أخرى. . الإعصار ظاهرة. . ليس كائنًا يذهب إلى مكان ويختبئ ثم يعود. . إن العوامل الجوية العليا فى طبقات الهواء تهيئ لحدوثه، فينشط ثم يتحول إلى دوامة حلزونية تتحرك لفترة من الوقت ثم تتلاشى لتعود كما بدأت. . مجرد هواء. . رياح. . وقد يكون بعض هذا الإعصار فى وقت ما مجرد نسمة باردة ترطب على

وجه عاشق يتغزل فى الطبيعة تحت شجرة ظليلة.

- لقد فهمت.. إذن صديقى.. ما احتمال حدوثه؟

- هذه الأجواء تهيئ الفـرصة له.. لذلك نحن هنا بعد رحلة طويلة من مصر.

- وماذا تدون الآن فى كراستك؟

- كل شىء أراه وألاحظه.. حتى الدمار الذى رأيناه.. هه.. مؤمن.

كانا يسيران الهوينا عندما لاحظ أمجد إعصارًا صغيرًا ينمو فى الأفق:

- مـؤمن.. إنه هناك.. هذا الوليـد سـيصـبح فى لحظات ماردًا رهيبًا.

- إذن ما بالنا نتبختر.. أسرع يا أمجد.

وانطلق الجوادان يسـابقان الريح ويشقان سـتور المطر المنهمـر بلا هوادة، وهبطا منحدراً شـديد الخطورة، ثم انطلقا فى سهل كبير وعادا يصـعدان هضبة شاسعة فرأيا مدينة أخرى على مقربة منهمـا. . كانت سليمة لايمسها سوى المطر الكثيف فـهرعا إليها ليحـذرا أهلها. . فلما دخلاها إذ بالناس يختـبئون فى البيوت فأخـذا يصرخان ويحـذران فى الشوارع والأسـواق. . لكن لم يجبـهمـا أحد، وإذ بالشـرطة تقبض عليـهما، وفـى لحظات كانا يقـفان بين يـدى السلطان الذى سـخر من كـلامـهمـا واعتبرهما من اللصوص وأمر بإيداعهما السجن.

كانت الأحداث تمر سـريعة. . فبعـدما كانا يطاردان الإعصار إذا بهمـا مطاردان يدخلهما الحارس إلى زنزانة مليئة بالتعساء من المساجين:

- يا إلهى.. إنها زنزانة كبيـرة يا مؤمن.. ترى ما عدد هؤلاء السجناء؟

- يتعدون المائة على مـا أعتقد.. يبـدو أنها مدينة تعج بالأشرار.

كان نزلاء السجن يغطون فى نوم عـميق لا يشعرون بالشتاء ولا الـرياح العاتية كون السجـن فى درك عميق تحت سطح الأرض.. وظن مـؤمن أن أحدًا لن يشـعر بدخولهما.. لكن أتاه صوت يرد عليه قائلاً:

- نعم يا ولدى.. نعم.. هذه المدينة تعج بالأشرار.

استـدارا على مصدر الصـوت.. كان شيـخًا طاعن السن.. على ضـوء السـراج المـثبت فى الجـدار بانت ملامحه الطيبة:

- معذرة سيدى.. لم نقصد.

- بل تقصد يا ولدى.. شىء طبيعى أن يظن الإنسان أن كل من بالسجن هم شرار الناس.. لكن الحقيقة مختلفة فى هذه المدينة.

- كيف ذلك بالله عليك؟

- الحقيقة هنا مقلوبة يا ولدى.. لولا ملابسكما لظننت أنكما من أهلها.

- نحن غريبان نبحث عن العلم والحكمة.

- الحكمة هنا فى هذه الزنزانة.. الحكماء هنا.. العلماء هنا.. الصالحون هنا.. وكل من تمرد على الشر وثار على الظلم والطغيان هنا.. أما فى البيوت وفى الشوارع فإما أشرار طاغون يعيثون فى الأرض فسادا

أو جبناء ساكتون.. يداهنون الأشرار ويتملقون الحاشية الفاسدة ويسجدون للسلطان الجبار المتكبر حتى يضمنوا لأنفسهم الحياة الدنيا.. وكلهم باعوا آخرتهم بدنياهم.

أخذ مؤمن ينظر لأمجد وهما فى دهشة من هذا التحول العجيب فى مهمتهما وأراد أمجد أن يستوضح الأمر بشكل مفصل:

- سيدى.. كل من يدخل السجن يدعى البراءة والصلاح ويتهم كل الأحرار خارجه بأشنع التهم.

- السجن؟.. أى سجن يا ولدى؟!.. نحن فى جنة.. ألا تعلم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

وهنا تدخل مؤمن بحماس قائلاً:

- انتظر يا أمجد.. لا يقول هذا الكلام إلا من كان على دراية بالدين وعلى إيمان شديد.

فقال أمجد:

- طول البقاء فى هذا المكان الموحش تورث الخضوع لله.. لكن ليس ذلك معناه أن كل من هنا فى هذا السجن من الصالحين وأن كل من بالمدينة من الفاسدين الأشرار.

- انتظر يا أمجد.. دع الشيخ يكمل حواره وكلامه.. تفضل سيدى

سعل الشيخ سعالاً خفيفًا ثم قال يخاطب أمجد:

- يا ولدى.. هل يجب علينا اعتبارك أنت وصاحبك

من الأشرار مادمتما هنا فى هذا السجن؟

تلعثم أمجد وتلجلج:

- أأ.. أ.. لا.. نحن لسنا كذلك على الإطلاق.

- ها أنت أيضًا تنفى عن نفسك التهمة.. يا ولدى.. أنت وصاحبك لستما ممن يهمنا فى شىء حتى نثبت لكما صحة كلامنا.. بالعكس.. المجرم فى السجن لا يتورع أن يعترف بجرمه.. وأتحداك أن تجد واحدًا من هؤلاء مجرمًا أو أتى بعمل بشع.. على الإطلاق.. كلهم كما أخبرتك.

ولما ساد الصمت قال مؤمن والماء يتساقط من ملابسه ورأسه:

- سيدى الشيخ.. ماذا إذا اجتمع قوم فى مكان واحد

على شيء واحـــد . . فلمـــاذا السكوت والإذعـــان للسجان؟

لم يفهم أمجد مـعنى الكلام لكنه فوجئ بالشيخ يرد على مـؤمن فأدرك أنه قـد تواصل مـعه بحـوار باطنى عجيب:

- يا ولدى . . مهما طال الصـبر فلابد من فرج بعده . . مهـما ادلهم الليل وأحلك ظلامـه فلابد للفـجر أن يأتى وتنير الشمس السماء والدنيا.

- لكن . . لكن القعود قبـيح سيدى . . البكاء لا يعجل بالفجر، بل يطيل لحظات الليل فتـصبح الدقيقة سنة والساعة عمراً آخر.

- القـوة تغلب الشـجاعـة يا ولدى . . ويجب التـحلى

بالحكمة وإلا فالسيف أمضى على الرقاب فيبيد الخير ولا يبقى منه أحدًا يتسلم الأمر ويقوده للنور.

- إذا حدث ذلك فهى الساعة.. فهى القيامة.. الله حافظ لدينه.. والجهاد فرض على الجميع.. لا يفرق بين عالم وجاهل.

- عجزنا عن دفع السجان..

- تكتلوا.. ولو طعن الرمح أحدكم.. فسينجو من بعده وسيتحرر من بعده الجميع.. لكن الخوف دائمًا يكون على من بالصف الأول.. ولو علم أنه سيعيش.. ويحيا ويرزق عند الله إلى يوم الدين لتقدم الجميع إلى الصف الأول ولأرهبتم عدوكم يكون النصر بإذن الله.

- غلبتنى بكلامك هذا يا ولدى..

- أرأيت هذا البـاب.. لا يقدر عليـه رجل أو اثنان أو عشرة لكن يقدر عليه مائة.. وخلفه سجان واحد.. مـاذا قلت والسجن داخل الـقصـر.. والقصـر هو العرش..

صرخ الشـيخ فاستـيقظ كل من بالزنزانة ثم تجمـعوا حوله فقال له مؤمن ليشجعه:

- القعـود قبيح سـيدى.. ابدأوا وستـرون يد الله فوق أيديكم.

همس الشيخ للرجـال بأن يتكتلوا.. كتـفا بكتف.. يدا بيد ثم يضـربوا الباب الحديدى ضربة واحـدة، فإما الحرية والنصر أو الشهادة والجنة.

كان أمـجد يراقب الحـدث الغريب أمـامه ويرى فى

مؤمن إنسانًا آخر غيـر الذى تعرف عليه وأدرك ما الذى جعله يخوض كل مغـامراته بنجاح، لكنه مع ذلك كان بأذن خبيرة ينصت لأصوات أخرى فوق سطح الأرض.

ورأى الحارس ما كان من يقظة المساجين فكاد يصاب بالجنون وأخـذ يهددهم بحـربته ثم تركـهم وفر يصـعد السلم ويصرخ بالنجدة.

وفى تلك اللحظة أخذ نزلاء السـجن يضربون الباب الحديدى وهم كتلة واحدة لا يكاد يفرقهم فارق ولا يبين بينهم شق.. فـاهتـز الباب والجـدار وتداعت المفـاصل وتساقطت الأحجار الواحدة تلو الأخرى.

كان مؤمـن يرى المنظر مبتهـجًا ويشجعـهم بكلمات طيبة تلهب مـشاعرهم.. وتقوى فيهم حـمية الإيمان.. أما أمجـد فقد ألصق أذنيه بالجدار البعـيد كأنه لا يأبه لما

يتم فى المكان من حـدث مهم، وفجـأة رجع إلى مؤمن وصرخ فيه:

- مؤمن. . إنى أسمعه. . والله إنى أسمعه يقترب.

وبدفعة قوية من أكتـاف الرجال الأشداء تحطم الباب وهَم الرجال بالانـدفاع خارج الزنزانة ليـتمـوا عملهم، لكن صوتًـا رهيبًا يسـد الآذان. . اقتـحم المكان، فقـفز مؤمن أمامهم وقال لهم:

- ارجـعـوا إلى مكانكم. . انتظروا. . لا يخـرج أحـد الآن. . تراجعوا.

لم يكن هناك شىء غـير هذا الصـوت الرهيب الذى يعيد هـؤلاء ويوقفهم عن متـابعة شهوة الانتـصار حتى آخرها. كمـا أن أصوات التحطيم أصبحـت معينًا لمؤمن

على إقناعهم بالتوقف، واقتــرب الشيخ من مؤمن وقال له وهو يرتعش من الضعف:

- ما هذا يا ولدى بالله عليك؟

- ألم أقل لك يا سيــدى.. ألم أقل لكم؟.. عندمــا صحت عزيمتكم وهانت عليكم الحــياة فى سبيل الله ورفــضــتم السجن والــعيش فى الــظلام وأعلنتم عن أنفسكم وتحركتم لدفع الشر عنكم أتاكم نصر الله.. أتتكــم جند الله.. ها هى يد الله فـــوق أيديـكم يا رجال.. الإعصار.. إنه الإعصار.

- الإعصار؟!!

- نعم.. هو فى هذا المكان عذاب الله يرسله على أهل الشر.. أتاكم ليعينكم على ضعفكم ووهنكم وقلتكم

هيا.. لقد رحل.. هيا لنرى من ذا الذى سيقف فى سبيلنا.

وخرجوا من ظلامهم فرأوا الإعصار قد حطم كل شىء وأباد معاقل الظلم والطغيان.. كان كل شىء محطمًا وليس هناك سوى شعب بسيط من الضعفاء يرتجفون فى العراء، ورغم أن القصر قد تحطم إلا أن الشيخ وقف على عرش السلطان ودعا الناس وقال لهم وقد بدأت الغيوم تنقشع والشمس ترسل أشعتها الدافئة:

- لقد تحطم كل شىء.. لكن قلوبنا المؤمنة مازالت سليمة وعامرة بالحب والصلاح.. هيا نبنى مدينتنا من جديد على الصلاح والتقوى والعدل والحب والإيمان.

وخرج مؤمن بعد أيام مع أمجد من المدينة، يحملان جوهرتين مكافأة من الشيخ اقتطعها من أملاك السلطان الطاغية.. وعادا من جديد يطاردان الظواهر الجوية.. وفى نهاية المهمة شكر أمجد مؤمن، وتواعدا على اللقاء فى مهام أخرى إن شاء الله.. أما أمجد فقد توصل إلى معلومة مهمة نعتقد فيها حتى الآن.. أن الإعصار كارثة لا يمكن بأى حال من الأحوال التحكم فيها.. لكن يمكن تجنبها بالنزول فى أماكن بعيدة تحت سطح الأرض.

تمت بحمد الله تعالى

مغامرات مؤمن

دار الطباعة والنشر الإسلامية

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٢٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣